الصراعات والحروب تؤكد أهميته

الحوار العالمي مشروع حضاري يفرض نفسه من أجل السلام والعدل الدوليين

إعداد: صالح سليمان

«نقول اليوم بصوت واحد: إن الأديان التي أراد بها الله عز وجل إسعاد البشر لا ينبغي أن تحول إلى أسباب شقائهم..

إن الانشغال عبر التاريخ بنقاط الخلاف بين أتباع الأديان والثقافات؛ قاد إلى التعصب، وبسبب ذلك قامت حروب مدمرة سالت فيها دماء كثيرة.. إن الإرهاب والإجرام عدو كل دين وكل حضارة، وما كانا ليظهرا لولا غياب مبدأ التسامح..

إن اهتمامنا بالحوار منطلق من ديننا وقيمنا الإسلامية واشفاقنا على العالم الإنساني ليجد مخرجاً من مآسيه».

بهذه الكلمات الضافية الصادقة خاطب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - العالم من على منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة، وأمام قادة العالم وممثليه الذين حضروا مؤتمر حوار الأديان في نيويورك في الفترة من ١٤-١٦/١١/١٤٢٩هـ الموافق لـ(١٢-١٤/١١/٢٠٠٨م). وكان المؤتمر قد انعقد برعاية من الأمم المتحدة وبدعوة من المملكة العربية السعودية. ويأتي مؤتمر نيويورك امتداداً للمؤتمر الذي رعاه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - في العاصمة الإسبانية (مدريد).

لقد أكد مؤتمر حوار الأديان في نيويورك أن التفاهم المتبادل والحوار بين الأديان والثقافات يشكل جزءاً مهماً من التحالف بين الحضارات وشيوع ثقافة السلام، ومن ثم نبذ الصدام والعنف والإرهاب. وأشاد المؤتمر بمبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين الأديان التي جاءت في وقت أحوج ما تكون فيه البشرية إلى الحوار، حيث لا زالت الصراعات والحروب هي اللغة السائدة في مناطق مختلفة من العالم. الحوار العالمي إذن مشروع حضاري أطلقته المملكة العربية السعودية ويفرض نفسه من أجل السلام والعدل الدوليين.

إرهاصات الحوار ومراحله

إذا كان الحوار العالمي بين الأديان والثقافات قد انطلق من مهبط الوحي وأرض السلام مكة المكرمة بمبادرة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - يحفظه الله-، ودعوة ورعاية كريمة للمؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي اختتم أعماله في مكة المكرمة في

الثاني من جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٦ يونيو ٢٠٠٨م)، ثم ما كان من انتقال الحوار إلى مرحلته الثانية في مدريد، ثم الحوار العالمي في نيويورك؛ إذا كان ذلك كذلك فإن الحوار العالمي بين الأديان والثقافات الذي دعت إليه ورعته المملكة العربية السعودية له إرهاصاته ومقدماته ثم مراحله المختلفة.

ويستطيع المراقب أن يؤرخ لمبادرات المملكة في الحوار بين الأديان منذ عام ١٩٧٢م عندما انعقدت اللقاءات العالمية المشتركة بين المملكة والفاتيكان في مدينة الرياض، حيث عقد الاجتماع الأول برئاسة معالي وزير العدل - آنذاك - الشيخ محمد الحركان.

وفي عام ١٩٧٤م قام وفد سعودي ترأسه معالي الشيخ محمد الحركان بزيارة إلى عدد من المدن الأوروبية شملت: (روما، جنيف، ستراسبورغ، والفاتيكان).

وفي عام ١٩٩٦م ناقش المهرجان الوطني للتراث والثقافة في دورته العاشرة واحداً من أهم المحاور الثقافية، وهو ندوة الإسلام والغرب التي اجتمع حولها لمناقشتها عدد من مفكري الأمة ومفكري الغرب.

واستكملت مناقشة هذا المحور في جنادرية (١٢) عام ١٩٩٧م. وفي المهرجان الثالث عشر ناقش المهرجان العلاقات بين الإسلام والشرق في تنوع للحوار العالمي شد إليه اهتمام المراقبين والمفكرين ووسائل الإعلام العالمية.

وفي عام ١٩٩٩م وخلال زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (ولي العهد آنذاك) لإيطاليا استقبله بابا الفاتيكان في ذلك الوقت (جون بول) الثاني في مقر البابوية في روما.

وفي مارس عام ٢٠٠٢م نظمت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض ندوة دولية بعنوان: (الإسلام وحوار الحضارات)، شارك فيها أكثر من ١٢٠ عالماً ومفكراً عربياً وإسلامياً وغربياً، وهي الندوة التي شاركت في تجلية مفهوم الحوار بين الحضارات بوصفه بديلاً موضوعياً وإيجابياً لطروحات الصدام والصراع بين الحضارات والثقافات.

وفي الخامس من جمادى الآخرة عام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٤م)، خطى الحوار الوطني في المملكة خطوة كبيرة بإعلان قيام مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بعد أن اتسعت

خادم الحرمين الشريفين يقود العالم إلى حوار أممي لمصلحة الإنسانية.

وتفاعلت اللقاءات الوطنية للحوار الفكري بانعقاد أول لقاء في ١٥ ربيع الأول عام ١٤٢٤هـ وما تبع ذلك من لقاءات وطنية بلغ عددها سبعة لقاءات طافت مناطق المملكة ومدنها.

وفي عام ٢٠٠٧م استقبل البابا (بنديكتوس السادس عشر) في الفاتيكان خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - الذي زار روما في إطار جولته الأوروبية.

مكة المكرمة.. الحوار الإسلامي

■ الحوار الذي دعت إليه المملكة ورعته يتجاوز المختلف فيه إلى المتفق عليه.

لقد أسس خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - لمرحلة الحوار الوطني والحوار الإسلامي ثم الحوار العالمي، ورعى - أيده الله - هذه المراحل ودعمها، ولقيت هذه المبادرات الكريمة كل الترحيب والتعاون العالمي.

وفي مرحلته الأولى جاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار الإسلامي التي أطلقها من رحاب الأرض الطاهرة من مكة المكرمة حيث انعقد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في الفترة من ٣٠ جمادى الأولى إلى ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٤-٦/٦/٢٠٠٨م)، ووضع الملك عبدالله في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر أساساً متيناً لانطلاقة غير مسبوقة كسرت حواجز الخوف والتشكك والانغلاق، ورسخت فكراً عميقاً يقود الأمة إلى أفق أوسع في قرن جديد. ومن كلماته الصادقة أمام علماء الأمة ومفكريها:

«إنكم تجتمعون اليوم لتقولوا للعالم من حولنا باعتزاز أكرمنا الله به: إننا صوت عدل، وقيم إنسانية أخلاقية، وإننا صوت تعايش وحوار عاقل وعادل، صوت حكمة وموعظة وجدال بالتي هي أحسن تلبية لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وإنا - إن شاء الله - لفاعلون.

ما أعظم قدر هذه الأمة، وما أصعب تحدياتها في زمن تداعى الأعداء من أهل الغلو والتطرف من أبنائها وغيرهم على عدل منهجها.

تداعوا بعدوانية سافرة استهدفت سماحة الإسلام وعدله وغاياته السامية.

ولهذا جاءت دعوة أخيكم لمواجهة تحديات الانغلاق والجهل، وضيق الأفق، ليستوعب العالم مفاهيم وآفاق رسالة الإسلام الخيّرة دون عداوة واستعداء قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

سيبقى الإسلام منيعاً بالله - جل جلاله - ثم بوعي علمائه ومفكريه وأبنائه، فعظمة الإسلام أسست لمفاهيم الحوار، وحددت معالم الطريق له، يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقلوبنا - بحمد الله - مليئة بالإيمان والتسامح والمحبة، التي أمرنا بها الخالق؛ جل جلاله.

نعم - أيها الإخوة الكرام - سيكون الطريق للآخر من خلال القيم المشتركة التي دعت إليها الرسالات الإلهية، والتي أنزلت من الرب - عز وجل - ، لما فيه خير الإنسان والحفاظ على كرامته، وتعزيز قيم الأخلاق والتعاملات التي لا تستقيم والخداع، تلك القيم التي تنبذ الخيانة، وتنفر من الجريمة، وتحارب الإرهاب، وتحتقر الكذب، وتؤسس لمكارم الأخلاق والصدق والأمانة والعدل، وتعزز مفاهيم وقيم الأسرة وتماسكها وأخلاقياتها التي جار عليها هذا العصر وتفككت روابطها، وابتعد الإنسان فيه عن ربه وتعاليم دينه.

من جوار بيت الله الحرام بدأنا، ومنه -بإذن الله- سننطلق في حوارنا مع الآخر بثقة نستمدها من إيماننا بالله، ثم بعلم نأخذه من سماحة ديننا، وسنجادل بالتي هي أحسن، فما اتفقنا عليه أنزلناه مكانه الكريم في نفوسنا،

وما اختلفنا حوله نحيله إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦).

مدريد.. المحطة الثانية

وفي مدريد جاءت المحطة الثانية من رحلة الحوار العالمي، وهو ما تمثل في اجتماع أبناء الأمم في مكان واحد تجمعهم الرغبة في التقارب والتعرف إلى الآخر دون قرارات مسبقة ولا طروحات معلبة، بل كانت اجتماعات الفكر بالفكر، ومن قلب مفتوح إلى قلوب مفتوحة مستعدة لأن تسمع وتحاور وتناقش دون المساس بالمعتقد أياً كان.

وكانت كلمة خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله- في المؤتمر العالمي للحوار الذي رعاه -أيده الله- في ١٣ رجب ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨/٧/١٦م)؛ خطة عمل وضعت جدول أعمال للبشرية أن تبدأ مرحلة جديدة من حوار مستنير لم تعرفه من قبل، وها هو - أيده الله - يخاطب المؤتمر بكلمات صادقة فيقول:

«جئتكم من مهوى قلوب المسلمين، من بلاد الحرمين الشريفين، حاملاً معي رسالة من الأمة الإسلامية، ممثلة في علمائها ومفكريها الذين اجتمعوا مؤخراً في رحاب بيت الله الحرام، رسالة تعلن أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية والتسامح، رسالة تدعو إلى الحوار البناء بين أتباع الأديان، رسالة تبشر الإنسانية بفتح صفحة جديدة يحل فيها الوئام - بإذن الله - محل الصراع.

إننا جميعاً نؤمن برب واحد، بعث الرسل لخير البشرية في الدنيا والآخرة، واقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يختلف الناس في أديانهم، ولو شاء لجمع البشر على دين واحد، ونحن نجتمع اليوم لنؤكد أن الأديان التي أرادها الله لإسعاد البشر يجب أن تكون وسيلة لسعادتهم.

لذلك علينا أن نعلن للعالم أن الاختلاف لا ينبغي أن يؤدي إلى النزاع والصراع، ونقول: إن المآسي التي مرت في تاريخ البشر لم تكن بسبب الأديان، ولكن بسبب التطرف الذي ابتلي به بعض أتباع كل دين سماوي، وكل عقيدة سياسية.

الأزمات ينتجها غياب العدل.. والإرهاب لم يظهر لولا غياب التسامح.

إن البشرية اليوم تعاني من ضياع القيم والتباس المفاهيم، وتمر بفترة حرجة تشهد بالرغم من كل التقدم العلمي تفشي الجرائم، وتنامي الإرهاب، وتفكك الأسرة، وانتهاك المخدرات لعقول الشباب، واستغلال الأقوياء للفقراء، والنزعات العنصرية البغيضة؛ وهذه كلها نتائج للفراغ الروحي الذي يعاني منه الناس بعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ولا مخرج لنا إلا بالالتقاء على كلمة سواء عبر الحوار بين الأديان والحضارات.

لقد فشلت معظم الحوارات في الماضي لأنها تحولت إلى تراشق يركز على الفوارق ويضخمها، وهذا مجهود عقيم

يزيد التوترات ولا يخفف من حدتها؛ أو لأنها حاولت صهر الأديان والمذاهب بحجة التقريب بينها، وهذا بدوره مجهود عقيم. فأصحاب كل دين مقتنعون بعقيدتهم ولا يقبلون عنها بديلاً. وإذا كنا نريد لهذا اللقاء التاريخي أن ينجح فلا بد أن نتوجه جميعاً إلى القواسم المشتركة التي تجمع بيننا، وهي الإيمان العميق بالله والمبادئ النبيلة والأخلاق العالية التي تمثل جوهر الديانات.

■ **مكتبة الملك عبدالعزيز العامة تنظم ندوة عالمية بعنوان: الإسلام وحوار الحضارات.**

إن الإنسان قد يكون سبباً في تدمير هذا الكوكب بكل ما فيه، وهو قادر أيضاً على جعله واحة سلام واطمئنان يتعايش فيه أتباع الأديان والمذاهب والفلسفات، ويتعاون الناس فيه مع بعضهم بعضاً باحترام، ويواجهون المشاكل بالحوار لا بالعنف.

إن هذا الإنسان قادر بعون الله على أن يهزم الكراهية بالمحبة، والتعصب بالتسامح، وأن يجعل جميع البشر يتمتعون بالكرامة التي هي تكريم من الرب - جل شأنه - لبني آدم أجمعين.

ليكن حوارنا مناصرة للإيمان في وجه الإلحاد، والفضيلة في مواجهة الرذيلة، والعدالة في مواجهة الظلم، والسلام في مواجهة الصراعات والحروب، والأخوة البشرية في مواجهة العنصرية».

الحوار العالمي في الأمم المتحدة

انتقل الحوار الذي احتضنه وتبناه ودعا إليه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - إلى مرحلته الثالثة في نيويورك ليتحول إلى حوار أممي ترعاه الأمم المتحدة، حيث اختتم حوار الأديان أعماله في ١٤٢٩/١١/١٩هـ الموافق لـ(٢٠٠٨/١١/١٤م).

وعلى منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة أعلن خادم الحرمين الشريفين أمام قادة العالم وممثليه أن الأديان لا ينبغي أن تحول إلى أسباب شقاء البشر، وأن الإرهاب والإجرام عدوا كل دين وكل حضارة. وجاء في كلمته - أيده الله - في هذا المؤتمر:

«... فأمام هذا الجمع من قادة العالم وممثليه، ومن الجمعية العامة ضمير الأمم المتحدة، وبمشهد من الدنيا كلها، نقول اليوم بصوت واحد: إن الأديان التي أراد بها الله عز وجل إسعاد البشر لا ينبغي أن تحول إلى أسباب شقائهم، وإن الإنسان نظير الإنسان في الخلق وشريكه على هذا الكوكب، فإما أن يعيشا معاً في سلام وصفاء، وإما أن ينتهيا بنيران سوء الفهم والحقد والكراهية.

أيها الأصدقاء!

وإن الانشغال عبر التاريخ بنقاط الخلاف بين أتباع الأديان والثقافات قاد إلى التعصب، وبسبب ذلك قامت

حروب مدمرة سالت فيها دماء كثيرة لم يكن لها مبرر من منطلق أو فكر سليم، وقد آن الأوان لأن نتعلم من دروس الماضي القاسية، وأن نجتمع على الأخلاق والمثل العليا التي نؤمن بها جميعاً، وما نختلف عليه سيفصل فيه عالم الغيب والشهادة يوم الحساب، إن كل مأساة يشهدها العالم اليوم هي في النهاية نتيجة للتخلي عن مبدأ عظيم من المبادئ التي نادت بها كل الأديان والثقافات، فأزمات العالم كلها لا تعني سوى تنكر الخلق لمبدأ العدالة الخالد.

إن الإرهاب والإجرام عدوا كل دين وكل حضارة، وما كانا ليظهرا لولا غياب مبدأ التسامح. والضياع الذي يلف حياة كثير من الشباب وكان طريقاً للمخدرات والجريمة لم ينتشر إلا بعد انهيار روابط الأسرة التي أرادها الله - عز وجل - ثابتة قوية. إن حوارنا الذي سيتم بطريقة حضارية كفيل - بإذن الله - بإحياء المثل العليا السامية، وإعادتها إلى الشعوب والأمم، ولا شك - بإذن الله - أن ذلك سوف يمثل انتصاراً باهراً لأنبل ما في الإنسان على أسوأ ما فيه، ويمنح الإنسانية الأمل في مستقبل يسود فيه العدل والأمن والحياة على الظلم والخوف والفقر.

أيها الأصدقاء!

أشكر معالي رئيس الجمعية العامة على الدعوة لهذا اللقاء، وأشكر أصدقائي من زعماء العالم وقادته على حضورهم من مشارق الأرض ومغاربها، معتزاً بصداقتهم وبمشاركاتهم، واسمحوا لي أن أدعو المتحاورين في مدريد إلى اختيار لجنة تمثلهم تتولى مسؤولية الحوار في الأيام والأعوام القادمة، وأؤكد لهم ولمختلف دول العالم وشعوبه وقادته ومنظماته أن اهتمامنا بالحوار منطلق من ديننا وقيمنا الإسلامية، وإشفاقنا على العالم الإنساني ليجد مخرجاً من مآسيه.

وإننا سنتابع ما بدأناه، وسنمد أيدينا لكل محبي السلام والعدل والتسامح.

وختاماً أذكركم ونفسي بما جاء في القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

وبعد:

فإن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - بدعوته ورعايته للحوار على المستوى الوطني والإسلامي والعالمي؛ أعطى إشارة البدء لمرحلة جديدة في حياة الأمم لتعزيز الحوار ونشر ثقافته في العالم، وهي مبادرات تدل على حرصه - أيده الله - على إزالة سوء الفهم بين الأديان والثقافات، والقضاء على التطرف الذي لم يظهر إلا في غياب التسامح.

إن مؤتمرات الحوار بين الأديان والثقافات تنطلق من اهتمام المملكة بالحوار والأمن والسلام العالمي، وهي المبادئ التي يحث عليها الإسلام وتنبع من قيمه الراقية الداعية إلى المحبة والتعاون والإخاء والاحترام المتبادل.

لقد كان الحوار جزءاً لا يتجزأ من منهج وفكر وتطلعات خادم الحرمين الشريفين - أيده الله -، وسوف يظل دوره - أيده الله - في بناء جسور التعاون ورأب الصدع في العلاقات الدولية محل تقدير واحترام واستجابة العالم، وما شهدت مكة المكرمة انطلاقته من حوار مروراً بمدريد ثم نيويورك؛ سوف يستمر ويكتب له النجاح - بإذن الله - إذا صدقت النوايا والتوجهات.فليس أمام العالم من طريق سوى الحوار بديلاً عن الصراعات والصدامات والحروب.